

البداية والنهاية

وهي مدينة صور فكتب الصلح بذلك وأن من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يوماً فهو أسير فكان جملة من أسر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل وذلك يوم السابع والعشرين من رجب قال العماد وهي ليلة الإسراء برسول الله (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى قال أبو شامة وهو أحد الأقوال في الإسراء ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافاً لمن زعم أنها أقيمت يومئذ وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة وكان الخطيب محي الدين بن محمد بن علي القرشي ابن الزكي كما سيأتي قريباً ولكن نظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصليبان والرهبان والخنازير وخربت دور الداوية وكانوا قد بنوها غربى المحراب الكبير واتخذوا المحراب مشتا لعنهم الله فنظف من ذلك كله واعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية وغسلت الصخرة بالماء الطاهر وأعيد غسلها بماء الورد والمسك الفاخر وبرزت للناظرين وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين ووضع الصليب عن قبتها وعادت إلى حرمتها وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعاً فباعوها من أهل البحور الجوانية بزنتها ذهباً فتعذر استعادة ما قطع منها ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال وأطلق السلطان خلقاً منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال ووقعت المسامحة في كثير منهم وشفع في أناس كثير فعفا عنهم وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في العسكر ولم يأخذ منه شيئاً مما يقتني ويدخر وكان حليماً كريماً مقداماً شجاعاً رحيماً أول جمعة أقيمت بيت المقدس بعد فتحه لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصليبان والنواقيس والرهبان والقسايس ودخله أهل الإيمان ونودي بالأذان وقرأ القرآن ووجد الرحمن كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان بعد يوم الفتح بثمان فنصب المنبر إلى جانب المحراب وبسطت البسط وعلقت القناديل وتلى التنزيل وجاء الحق وبطلت الأباطيل وصفت السجادات وكثرت السجادات وتنوعت العبادات وارتفعت الدعوات ونزلت البركات وانجلت الكربات واهتمت الصلوات وأذن المؤذنون وخرس القسيسون وزال البوس وطابت النفوس وأقبلت السعود وأدبرت النحوس وعبد الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وكبره الراكع والساجد والقائم والقاعد وامتألاً الجامع وسالت لركة القلوب المدامع ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال كادت